يا إخوتنا بمصر.. اتركونا وشأننا!

لن نعود حطاماً على أسوار "البوابة الشرقية"!

رشيد الخيُّون

أحاول أن أبتدئ مذكراً بأبي نواس (ت ٢٠٠هـ)، لما هجا مصر منتصراً لواليها، وأنا أسمع بما يكيله كتّاب مصر للثقافة العراقية ومثقفيها، ووصمهم بالخيانة، لأنهم لم يذودوا لفتى أحلامهم القومي. قال أبو نواس في ذم المصريين وتهديدهم بسوط خصيب واليها ابن عبد الحميد الدهقاني، وهو يدفعهم إلى دفع الخراج:

فإن يك باقِ إفك فرعون فيكم
فإن عصا موسى بكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية
أكول لحيات البلاد شروب

وأذكر كذلك، ما كتبته يوماً ما في جريدة الشرق الأوسط تحت عنوان "وجدت بمصر"، .انا أزورها أول مرة. وأنا أكن كل التقدير لأعمى مصر وعميدها في الأدب والعقل، أن طه حسين (ت ١٩٧٣) حاول إثارة الشيخ محمد رضا الشبيبي (ت ١٩٦٥ –(وزير ورئيس المجمع العلمي العراقي الأسبق- اثناء حضوره مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالقول: "لماذا كان العراقيون دائماً ثائرين لا يستقرون على حال، ولا يرتضون حاكماً؟ فقد قرأت تاريخ العراق منذ الفتح الإسلامي حتى الآن، وقلما وجدت حقبة خالية من الفتن والقلاقل". رد الشبيبي على مفكر مصر بالقول: "أتسمح لي أن أسألك أنا أيضاً؟ لماذا كان المصريون دائماً خانعين خاضعين؟ لقد قرأت تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي وقبله أيضاً، فوجدت المصريين دائماً يسترضون حكامهم مهما جاروا، وطغوا"(أعلام الأدب في العراق الحديث).

اغتاظ عميد الأدب من الرد غير المتوقع، لكن الحضور من المصريين قالوا له: "الجواب من طبيعة السؤال". والحقيقة، رغم سمو المتكلمين، طه والشبيبي، إلا أنه لا العراق كان ثائراً دائما، ولا مصر كانت خانعة دائماً. وإن سكت العراقيون على خمسة قرون تركية عثمانية، منها صفوية إيرانية، فالمصريون وجدوا في محمد علي رائداً لنهضتهم الحديثة، وهو الألباني، مثلما وجدوا أيضاً في الحملة الفرنسية على بلادهم ثورة علمية واجتماعية. وبفعلها أتى الكثير من البدايات، بشرقنا العربي، من ديارهم، ولهم أبطالهم الشعبيون والسياسيون. ومثلما ابتلي العراق بالهتافين للأنظمة أبتلي المصريون بهتافيهم، حتى استبدل اسم مصر، وكل شيء سخر من أجل شعار هو السراب بعينه. ما جرى بين أديبي مصر والعراق كان مادة جدل مع مثقفين مصريين بالقاهرة. وجدت من أستحسن وجود وال دموي على العراق مستنسخ من ظهر الحجاج بن يوسف الثقفي، لأنهم حسب طه حسين أهل فتن وقلاقل. ومنهم من يرى في طينة العراق حاضنة للحرية والتسامح، ولا يعيبهم التخلص من القسوة ومبطلات التقدم بعون أجنبي. نظر هؤلاء إلى حملة نابليون، واستقلال الألباني محمد علي بنظرة إيجابية، فما كان لمصر أن تكون الأم في أكثر من مجال لو ظلت نافرة من كل أجنبي. وحتى لا يذهب القارئ بعيداً، كانت هذه الفئة مختلطة من أهل اليسار وأهل اليمين، بينهم صحفيون ونقاد فنون، ومن عكر صدام وجودهم بالكويت، ومن كان يتردد ضمن الوفود الثقافية على بغداد أثناء الحرب العراقية الإيرانية، فوجدها خيبة ما بعدها خيبة.

كانت جرأة وحيلة من أبي نواس، وهو قد خبر النفسية المصرية، فقذفهم بحيته الأكول الشروب، وأراهم قد ضاقوا وحتى اليوم ذعراً منه، لكن ماجرى بين عميدي الأدب المصري والعراقي من مستوى آخر، وها هم جماعة من مثقفين يطلبون من العراقيين ما نقدنا وثلبنا عليه طه حسين، كثرة الثورية! ما تقدم كان مجرد استهلال طويل لمقال قصير، عاتباً لا ناقماً.

يصر شطر من الصحافة العربية، وفريق ليس بالقليل من المثقفين العرب بمصر، على الاستمرار بتقديم صورة شوهاء للمثقف المصري عموماً، وهو لا يكف عن كيل التهم والثلب المتواصل للثقافة العراقية والمثقفين العراقيين، تحت شعارات العروبة والنضال والمقاومة، وكأن الصلح مع إسرائيل لم يبدأ بديارهم وزمانهم. وأن المثقف العراقي جائع لها، ولم يسمعها وتدس في بدنه لأكثر من ثلاثين سنة. يسمعها صباح مساء، حتى تسربت إلى مأكله ومشربه ومنامه! وبطبيعة الحال، لا جامع يجمع ما بين المتغنين بالبوابة الشرقية، من شبابيك فنادق واستراحات، وبين قتلاها ومعوقيها وأراملها وأيتامها. من حق الغارق في تلك الشعارات، ولا نتهمه بمأكل دسم أو ملبس ناعم، إنما نرثي له حمل تلك التركة الثقيلة، والصبر على تمثيل البطولة، والدفاع عن قادة الأمة وذباحيها. وليس بالضرورة أن يكون مؤمناً بها، فبأي آلائها يصدق أويكذب!

فريق من المثقفين، مع تقدير قدراتهم في فن كتابة وصياغة شعر، لايرون بالمثقف العراقي إلا وقوداً لنارهم، فهو خائن عندما اعترض وجاهر في الاعتراض ضد الهوائل من القسوة، وهو خائن إذا بدأ يبني ويحاول التحرر من حطام عذاباته، فالمفروض أن ينتصر ويجعل هزيمة جلاديه مأتماً. وأن يحمل السلاح دفاعاً عن الحياض التي ردمت ولم ينبع فيها الماء بعد.

الاعتراض الذي تعترضه مجلة "أخبار الأدب"، وربما هي آخر الصامدين من معسكر الدفاع عن (حسام الأمة وفتاها الأول)، له ما يبرره. إنها خسارة تجارة، وخسارة كلام، وخسارة منابر، وكشف حقائق أخرى كان يسترها الظلام. حضرنا وحضر المئات ملتقى المدى الثقافي السنوي، ولا أظن جيشت الجيوش منه للدفاع عن أمريكا، أو ألقيت الخطب الملتهبة ضد قومية أو ناصرية، أو ضد ثورية ومع استعمار. قلب الملتقى أموراً وقضايا وملفات تعترضنا في كل لحظة: الإرهاب، الذي يصعب أن يفهمه الضحايا على أنه مقاومة، مثلما يفهمه أخوتنا في تلك الصحيفة أو غيرها من صحف مصر. وأن يصعب على الضحايا والمبتلين اعتبار يوم سقوط القسوة يوم كارثة، وهزيمة أخرى، مثل السابقات، اللواتي أتيا بالشعر والرواية، والقيادات.

ما بقي في الذاكرة من ذلك الملتقى (العميل) بنظر شريحة من مثقفي مصر هو ندوات حاولت تحليل ما يجري، بعيدة عن الهتاف، مع أن العديد ممن حضر راجع نفسه يوم كان يثور بالشعار، وبالكلمة، وحرض على حمل السلاح. ندوات تحدثت بتلقائية، ولأول مرة، بلا تصادم بين خلفيات إسلامية وماركسية، بين ليبراليي المنحدر وراديكاليين. ندوات توقفت عند أعمق محنة من محن العراق اليوم: الاقتصاد والفساد، النفط والثقافة، مجريات الاحتلال، الأهوار، والسينما، الشعر، والأدب الشعبي.

محمد رضا الشبيبي

طه حسين

سألت مرة أحد هؤلاء الهجائين، والمتألمين من اندحار أبطال الأمة وحساماتها، لماذا يشغلكم العراق كثيراً، ولم تشغل أوطانكم المثقفين العراقيين، من أدباء وشعراء وباحثين؟ إلا أني وجدت رده، العنيف والشاتم، مستلاً من حقبة استقرت في قعر التاريخ، وكأن صوت أحمد سعيد، الإذاعي المصري، دب مرة أخرى عبر أسلاك الإذاعة! كان جوابه خطاباً متقطعاً مع حركة جسدية رادحة. قال بأعلى صوته: أنا مع الإرهاب ما دام الإرهاب ضد أمريكا وضد العملاء! ولما واجهته بجثث أطفال حوض الماء بمدينة العامل، والغابشين لشراء أرغفة الخبز! لجأ إلى تنزيه الانتحاريين! لست مجبراً، لتبرير ما يسعى إليه المثقفون العراقيون داخل وطنهم، وإن لم يعترف بأدبهم وشعرهم إتحاد الأدباء العرب، أو القائمون على مجلة "أخبار الأدب". لكن، حرق شارع المتنبي، وألقاء القصائد من على منصة صنعت من رماد وبين لهيب النار الحارقة تكفي رداً، بأن الثقافة العراقية رقم لا يمكن تجاوزه، ولا يمكن حصره في زاوية العمالة، مثلما لم تتمكن كتاباتهم وقصائدهم من أجل القائد الضرورة، إسكات صوتها في أحرج وأنكى مرحلة من مراحلها.

ألا إن من المخجل حقاً أن يُطلب من الضحية الدفاع عن جلادها، مثلما يطلبه هؤلاء من المثقفين العراقيين! ومن قلة ضمير، وبؤس حال أن يغيب الحق بهذه الطريقة! وأن يراد من المثقف العراقي التحول إلى انتحاري، لا يجتمع له مؤتمر، ولا يكتب رواية أو ينظم قصيدة إلا من أجلهم، وبإيحاء من هتافهم. أقول: إنها هزيمة حقاً، ولم يكتب الشعراء قصائدهم للأمريكان، لكن ابحثوا عن السبب ستجدوه في أصنامكم لا في الثقافة العراقية، إن اختلفت أو اجتمعت فدعوها وشأنها!

إن أستهل حديثي بما لقنه أبو نواس لاخوتنا المصريين، وما دار بين حسين والشبيبي أختم بقصتي مع سادن ضريح رأس الحسين بالقاهرة، الذي نهرني وأنا أقلب ناظري في فضاء القبة، مستفسراً: "هل يضم الضريح الرأس الشريف فقط"؟ أجاب بنفرة: "لا تقول هذا! الجسد والرأس معاً"! قلت: "أنا من العراق، ومن العشيرة التي دفنت جسد الإمام هناك بلا رأس بني أسد"! قال: "كذبتم" أنتم الشيعة! فهنا رأس الحسين وبدنه! وأردف مفسراً وجوده بالقاهرة: "لما دفن الرأس هنا بمصر، رغبة من شقيقة صاحبه السيدة زينب، حملت الملائكة البدن وألحقته به"! عندها رددت على السادن: "وهل تريد القول أن الضريح الذي نزوره بكربلاء خالٍ من الرأس والجسد"؟ قال: "ما قلت لك هو الصحيح"! وأشار إلى زاوية مقفلة في داخل الضريح قائلاً: "هذه، فيها أسرار لا يعرفها إلا صاحبها"! ولم يدلني من هو صاحبها!

إخوتنا بمصر، ومنهم الفريق الذي اعترضنا عليه، لا يريدون التصديق على دلائل الأثر من أن بلاد العراق كانت صاحبة السبق في الكتابة، وتأسيس الحضارة، مع طربنا وفخرنا لما توصلت إليه الحضارة الفرعونية، ولا يريدون، على لسان سادنهم الشافعي، أن الإمام الحسين راقد في أرضنا، بل حاولوا على لسان عميدهم أن يجعلونا قوماً لا نجيد غير الفتنة والشغب، مع أننا لم نخط أبيات أبي نواس في هجائهم بماء من الذهب! وها هم عادوا يشترطون علينا الثورة والتقدم إلى خطوط النار، مثلما حببوا لنا الدفاع عن "البوابة الشرقية"، وعظموا حاميها براوية ليست أكذب منها، لا حباً بالعراق ولا بالشرق كله، بل على طريقة السادن، إذا صدق كلامي وادعائي بوجود رفات إمامنا الحسين سينقطع عنه النذر ورزق الزيارة!

"ملامح" للروائية السعودية زينب حفني... كسر المحظور وكشف المستور

محيي المسعودي
بابل

ما الذي جعل من رواية (ملامح) للسعودية زينب حفني ان تحدث وقعاً مدوياً بين الاوساط الثقافية والاجتماعية العربية؟ وما الذي دفع بـ(الرواية) ان تكون مطلوبة للقراءة بالحاح ورغبة جامحة من قبل المجتمع؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال تجدر الاشارة الى ان حفني لم تكن الوحيدة التي كتبت بهذا الاسلوب واثارت الضجة حول كتاباتها بل هناك مجموعة من الروائيات والقاصات العربيات اللواتي زامن حفني او سبقنها في هذه الكتابة نذكر منهن عالية ممدوح وليلى العثمان واحلام مستغانمي ورجاء عبدالله الصانع صاحبة رواية بنات الرياض - تلك الرواية التي احدثت الوقع الاكبر لدى القراء والساسة معاً ولكي نحدد الاجابة على السؤال السابق تجدر الاشارة مرة ثانية الى ان الكاتبات العربيات هن اكثر اثارة من الكتاب بسبب النظرة السائدة في المجتمع العربي حول المرأة. على اعتبارها - حرم الرجل وشرفه (اي ملكه) - وليست شريكته التي لا تقل انسانية وفعلاً عنه والتي لا يجب ان تقل حريتها وحقوقها عن حريته وحقوقه.. وبسبب هذه النظرة التراكمية حول المرأة. اصبحت اشبه بالتابو لا يجوز فتحه ومعرفة اشيائه واسراره وبالتالي اصبح لايجوز الحديث عن خصوصية المرأة ولا يحق للمرأة الحديث عن نفسها فكيف والمرأة تتحدث عن تابو اشد حرمة وسرية الا وهو - الجنس - من هنا تظهر ملامح الاجابة على السؤال ويبدو مبرراً اقبال جمهورالقراء على ما تكتبه المرأة حول ذاتها وعلاقتها بالرجل والمجتمع.. واذا كان حال المرأة العربية بشكل عام هو على هذه الشاكلة فإن حال المرأة الخليجية والسعودية خاصة اكثر تعقيداً –وتابوية- وان مجرد المرور عليه في الامور العامة يجب ان يكون مروراً حذراً يتجنب خصوصيتها وفي ظل هذه الحال للمرأة الخليجية ومجتمعها المغلق عليها باتت الصورة الحقيقية لتلك المجتمعات مغيبة - قسراً - وغابت عن المشهد مشاكل ومشاعر ولواعج وافكار وسلوكيات المرأة التي تشكل نصف مجتمعها في كل شيء الا في الظهور للعيان والتعبير عن ذاتها - اذن الكتابة النسوية - اي كتابة المرأة عن نفسها والرجل ومجتمعها هو اول الاسباب التي صبت في نجاح رواية ؟ملامح؟ للروائية زينب حفني.. السبب الثاني هو مجتمعها اي المجتمع الخليجي - السعودي - الذي يثير الحديث عنه شهية القراء والفضوليين لمعرفته والوقوف على اسراره وخفاياه خاصة وان البعض من العاملين العرب عاشوا ذلك الواقع الاجتماعي وعرفوا عنه الكثير ولكن الخطاب العام ينكر كل ما هو مخالف لعاداته وتقاليده.. والسبب الثالث وهو الاهم ليس على مستوى المجتمعات الخليج بل على مستوى العالم اجمع - ويتمثل بالكتابة التي تتخذ من السيرة والسيرة الذاتية شكلاً او مضموناً او اسلوباً لها.. ولو عدنا الى رواية (ملامح) سوف نرى هذه الاسباب حاضرة اولها ان الرواية كتب اغلبها بضمير - الأنا - الانثوي ناهيك عن الروائية نفسها والتي تشكل الأنا الأعلى ونلمس في الرواية خصوصية المجتمع السعودي وبعض تفاصيل حياته الرئيسة. نعرف طبقاته الاجتماعية من الفقراء وحتى الاثرياء.. نعرف نواميس العلاقة الاجتماعية والاسرية التي لا تختلف كثيراً عما في المجتمعات العربية وندرك من خلال علاقة ابوي ثريا - بطلة الرواية - ان المجتمع السعودي مثله مثل كل المجتمعات العربية - تقريباً - في التقاليد والعادات والسلوكيات.. ومثله مثل كل مجتمعات الدنيا في قضاياه الانسانية من حب وكره وفقر وغنى وكذب وصدق وسمو ووضاعة وغيرها من الثنائيات.. اذن ما الذي جاءت به الروائية حتى احدثت كل هذا الدوي بروايتها (ملامح)؟... نستطيع ان نختزل الاجابة بعبارة - كسر المحظور - على جميع المستويات وكسر المحظور يعني كشف المستور وتجاوزه على مستوى الاحداث والوقائع السرية وعلى مستوى الذات التي قامت بهذا العمل - اي المرأة الكاتبة- التي يعتبر حديثها في امور اقل خطورة ممنوعاً ومحرماً اجتماعياً ودينياً. هذه هي عقدة موضوع كتابة الرواية وتداعياتها في الاوساط الاجتماعية والثقافية والفكرية وهذا ما جعل منها محط الاهتمام الكبير. اما عقدة موضوع الحدث اي عقدة النص فتتمثل في كشف (الشذوذ الجنسي والاجتماعي) في مجتمع محافظ لم تعرف عنه تلك السلوكيات كممارسة او كظاهرة يتم الحديث عنها بشكل صريح ومباشر.

زينب حفني

نقطة انطلاق الشذوذ الاجتماعي - كما يصفه ذلك المجتمع - بدأت من اول الرواية متمثلة بثريا - الفتاة المراهقة التي تعيش في اسرة - شبه فقيرة وبينما نجد اسرتها راضية بواقعها ومتعففة بعلاقاتها. تظهر لنا تلك الفتاة طموحة جداً في النظر الى حريتها. واشباع غرائزها الجسدية والحصول على حاجياتها المادية ونلمس هوسها لبلوغ الثراء وازدراءها الحياة المستكينة المحدودة الموارد والحريات. ومع ان اللاوعي لدى ثريا مستسلم للقدر والتقاليد الا انها لا تريد هذا القدر وهي تسعى الى تحقيق رغباتها من وراء ظهر المجتمع - في السر - على الأقل في البداية عندما ذهبت مع صديقتها نور لتلتقي بفؤاد وتتذوق معه طعم الشهوة الانثوية ويظل اللاوعي مؤمناً بأن السرية هي الباب الوحيد لبلوغ الغايات.

وهذا ما يمكن تحقيقه في مجتمع محافظ.. وينتقل الشذوذ الاجتماعي الى الرجل حين يوافق زوجها حسين على ان تكون طريقه لبلوغ مناصب اعلى في وظيفته ومن ثم في اعماله التجارية.. هذا السلوك الاجتماعي من قبل ثريا وزوجها حسين حطم المنظومة الاخلاقية الاجتماعية لمجتمع يرى ان هذا السلوك سقوط اخلاقي اجتماعي في غاية القبح والحرام والوضاعة. وهو على اية حال - مرفوض في كل المجتمعات الانسانية وان وجد في بعضها مكشوفاً ولكنه في مجتمع ثريا لا يسمح بكشفه.. وتشكل حياة ثريا وحسين محوراً تدور حوله الاحداث الاخرى التي تكشف صورا وحالات اجتماعية متباينة ومختلفة ولكن الرواية لا تقدم صورة مكتملة للفضيلة في كل الاحداث.. حتى مع فؤاد الذي مثل صورة اقل بشاعة فقد كان يخون زوجته التي يحبها ويحترمها حد التقديس خانها مع صديقة شبابه ثريا التي لم يكرهها طوال حياته.. وظلت الاحداث تدور حول حيوات الشخصيات التي تحيط بثريا وحسين وقدمت الرواية انواعاً من السلوك الاجتماعي المستهجن والمرفوض كالعلاقة المثلية بين النساء وصورت الرواية تفاصيل هذه العلاقة وحاولت تقديم الاسباب التي كانت وراءها عندما تعرضت للعلاقة بين ثريا وهند والاخيرة عندما كشفت عن علاقتها مع صديقتها اقبال منذ ايام الثانوية وهكذا دخلت الرواية في عالم المثليات. هذا العالم الذي يثير شهية القراء لكشف تفاصيله واحداثه واسراره.. وقدمت الرواية الفناء الخلفي للمجتمع ذلك الفناء الغرائبي المليء بالتجاوزات دون ان تعير اهتماماً يذكر للجوانب الطبيعية والحالات السليمة فيه.. وقد اتخذت الرواية الجانب الذاتي - الفردي - في حديثها عن الحياة وتفاصيلها حتى كأنك وأنت تقرأ امام اعترافات أو سير لنساء ورجال هم غير سويين واكدت الروائية هذا الجانب من خلال ضمير المتكلم الذي تقمصت به كل شخصياتها وجعلتهم يتحدثون عن حيواتهم بأسلوب لا يترك لك الا تصديقهم.. وثمة اشارة تركتها الكاتبة من خلال الاسماء والاحداث تقود القارئ الواعي الى ان احداث الرواية وقعت بين شرائح اجتماعية ذات لون واحد ومتقاربة في الاعتقادات او ربما ثقافة الروائية وخلفيتها الاجتماعية هي من ترك تلك الاشارة دون قصد او حال حقيقية تعيشها الكاتبة.

قصص قصيرة

الأصابع

أيمن حسن
القاهرة

الحفيد

اتساخ أصابع حفيدها هو ما يؤرقها، تأخذه من بين لعبه، تغسل يديه بالماء و الصابون، تجففهما و هى تدمدم، هو – كعادته –صامت مستسلم الا حين تأخذ هذا العالم من حوله، يعلو صراخه، يرفس الدنيا بقدميه، فى النهاية تستسلم له تاركة قطع الميكانو و الصلصال، ما ان تستدير حتى يبدأ من جديد، تتشكل قطع الصلصال أجسادا، بعضها صغير خفيف الحركة ، البعض كبيرمتزن، تتداخل قطع الميكانو، تكون البيوت، تتحرك قطع الصلصال الكبيرة و الصغيرة، تنسخ الجدران ببقايا الصلصال فى اصابعه و اصابعهم، تنشغل هى بأمورها اليومية، تضع الغسيل فى الغسالة الاتوماتيك، تغسل الأوانى، تجهز الخضار للطبخ، تتداخل الأصوات و الروائح و الألوان، فى لحظة تنتفض من بين عالمها، تتحرك ناحية الصالة، يغط هو فى نوم عميق على السجادة، و الصلصال يملأ البيت صخبا.

فتاة الكافيتريا

تتآكل أظافر فتاة الكافيتريا، ينفر اللحم فى طرف كل اصبع، و يبقى الظفر خطا عرضيا ملونا، لم يكن –هو – الوحيد الذى لاحظ اصابعها، ترك مع فاتورة مبلغا اضافيا وورقة، فى الحادية عشرة كان يقف فى الممر الضيق المظلم ملتحفا ببالطو بنى اللون، تأتى من أول الممر، يضيع شبحها فى أضواء الشارع الخارجى المبهرة، يوقف تاكسيا، لكنه و هو ينطق باسم الفندق المقيم فيه، تقاطعه باسم شارعهم، يتردد السائق قليلا لكن هزة رأس الراكب تقنعه بالمضى، بطيئا حذرا يمضى السائق، تضيق الشوارع، تتآكل الأضواء و الألوان و البيوت مخلفة روائح و أكوام قمامة و عشش، تشير للسائق فيقف فى الحال، يتناول أجره فى صمت و يعود، سارا بين الحوائط الخشبية المسنودة على أوانى الفخار المتلاصقة بفعل الطين اللبن، ضغطت على أحد الأبواب الخشبية، ظهرت عجوز متكرمشة فى ملابسها السوداء، انفرجت اساريرها و هى تتلقى كيساً ورقياً من يد الفتاه، حين انداح الباب الى الداخل شاهد الأرجل النحيلة تسيل من ثقوب بطانية متهرئة، حاول ان يستدير و يعود من حيث أتى لكن اصابعها قبضت على أصابعه و هى تدفع بابا آخر فى الحجرة، دخلا، السرير الوحيد بارد عطن، تمددت بملابسها التى اختلط عطنها بعطن المكان و بقايا عطن ابطيها، جلس على طرف السرير، راح يحلم بوجهها فى أضواء الكافيتريا، يمسد شعرها بأطراف اصابعه، يهبط بالأصابع على رقبتها، كتفيها، يفكك قيودها و هى مستسلمة، حالمة، يسافر فى جلدها يمتزج لونه بلونها فى انتظار لونهما الخاص، يستعر حرارة و هو يرسل للعالم لونهما، نفسها يعلو يعلو، هو يسافر يسافر فيها، يفتح مدنا، يعبر بحارا، يهبط اخيرا يفتح عينيه و ينصت، شخير نومها يمزق فواخير العشة.

البيانو

تنظف أصابع البيانو ربما للمرة المائة، تلقى نظرة على المكان، كل شيء مرتب فى مكانه، اللون الأسود اللامع، الأصابع البيضاء و السوداء، النغمات التى تنساب حلما فى أذنى فتاة التاسعة عشرة ، جالسة على كرسيها، من أصابعها تنبعث موسيقى، ترقص أبخرة فنجان الشاى الموضوع على البيانو، تسافر الموسيقى و الابخرة و الاحلام الى الشمس الهادئة التى تلامس زجاج نافذة المحل، فى المحل المقابل تراه يواصل العزف، و تواصل معه الحلم، ترقص بقعة مياه بعيدة على رمال صحرائها الحارة الخانقة، الطريق الى الحلم يتعثر، رعاية اخوتها، تكاليف زواجها، الحياة مع الزوج المكافح، الأبناء، حتى جاءت اللحظة، كل ماتبقى لها هو من الحلم معاش زوجها و اسورتان ذهبيتان، و بيانو قديم فى المحل المقابل، تنظفه الآن للمرة الأولى بعد المائة، الأصوات التى سافرت معها عمرا من الصحراوات صارت حقيقة مهيبة تنتصب أمامها، فى الميعاد المحدد يأتى المعلم الشاب، برشاقة تراقص أصابعه أصابع البيانو، يتوقف للحظات، يشير لها، تجلس على كرسى بجواره، ينزل أول اصبع لها، ثقيل بطيء، يتأوه البيانو، الاصبع الثانى، الثالث، يزعق البيانو، يصرخ، يبكى، يشير المعلم الشاب الى العروق النافرة، العقل المتكلسة فى اصابعها، الجلد الذى تكرمش، حتى الأظافر صارت كتلا تخنق اللحم تحتها، تحاول المرة تلو المرة، أصابع البيانو لاتستطيع أن تعالج الفارق الزمنى المختل بين السكون و الحركة، أو ما اخبرها المعلم الشاب بأنه الموسيقى.

طرق

من خلف زجاج الكافيتريا كان يتابع سيارات الميكروباص، تقف السيارة فى الاتجاه المعاكس، ينزل شخص أو اثنان و ترحل، يطالع الوجوه بلهفة، ليست هى، يدق باصابعه على الطاولة، ترن ترن ترن، سيارة، اثنان، عشرة، عشرات، يضع النقود على الطاولة، يخرج ملتحفا بالبالطو، يقف للحظات، يتأمل الاتجاه المعاكس، ثم يشير لسيارة فى اتجاهه هو.